# ثورة اكتوبر

## وكيف يراها العرب الآن وقد باتوا على مقربة من معناها الشمولي

تحية لها في ذكراها الثانية والخمسين؟

بعد ٥٢ سنة ، ما زال يوم السابع من تشرين الثاني ١٩١٧ يبدو كواحد من اكثر الايام تألقاً في التاريخ الانساني : فمع فجره الشاحب والمثلج اطل على الدنيا عالم جديد تماما سيكبر وينمو ، ملقيا ذلك العالم القديم والمتهالك الذي كان قبله ، محتفظا في ذلك الوقت بقدرته على استقطاب جماهير الشعوب المقهورة على امرها ، وبتعرفه المتميز الهادي الى طريق الحرية والتقدم .



كشفت ثورة أكتوبر المعاهدات السرية لتجزئة الوطن العربي
ولكن الثورة العربية الكبرى ظلت على اخلاصها للحلفاء الاستعماريين

وبالنسبة الينا ، نحن العرب ، فلعلنا لم ندرك اهمية ذلك اليوم ادراكنا الحالي له ، وربما لاننا الآن فقط ، وبعد كل تلك السنين الطويلة الحافلة بالتجارب والحزوالنكسات والانتصارات المحدودة ، قد بتنا على مقربة كافية من الثورة بمعناها الاكتوبري الشامل : الثورة التي تهم كل العالم الناس الذي على الكفه عالما جديدا لائقا بكرامة الانسان وبطموحه ، وقابل ، بفكره الخلاق والمتجدد باستمرار .

■ ظلم مزدوج ...

لعلنا ، ايضا ، لم ننزل القادة الذين صنعوا ذلك اليوم الخالد ، وعلى راسهم لينين العظيم ، المنزلة التي يستحقونها في ضمائرنا وصدورنا وفكرنا ، الا الان ونحن نعيش الحياة المقهورة والمظلومة للثورة العظيمة ... رغم ان للثورة البلشفية وللينين شخصيا ، دينا في اعناقنا لا ينسى ولا يزول ؛ اليست ثورة اكتوبر هي التي فضحت المعاهدات السرية المعقودة بين الدول الاستعمارية ، ومنها معاهدة سايكس – بيكو التي بموجبها تقاسم البريطانيون والفرنسيون بلادنا الناظرة على السلطان التركي المهزوم واخضعوها لسيطرتهم اكثر من ربع قرن جديد ؟!

على اننا ما زلنا نظلم ثورة اكتوبر ولينين ، بل والماركسية ذاتها ؛ لمجرد المحاكاة التاريخية المبتلة بالتها بالتباس من المسلك التلقيني ازاء مشكلة معينة .

وفرد عن انفسنا مهمة العصور الفكري بالرغم ان الماركسية لم تعد في مستوى متطلبات العصر .

ومثلنا ، بل ربما اكثر منا ، يظلم الثورة ولينين والماركسية بعض الذين يتناولون صفة القيم عليهم جميعا ؛ يرفعون شعار الحل السلمي عنصرا لتحقيق ساعة العمل للتحرير ، ويتحدثون عن الظروف الموضوعية غير الناضجة للثورة بينما الجماهير تموت يأسا من انتظارها العبثي لانطلاق رصاصة الثورة الاولى ويصرون على ان يكونوا ، امميين ، في كل معركة لتحرر وطني ، فاذا ما بات ممكنا دفع الحركة على طريق الاممية تحولوا الى ، وطنيين ، بالمعنى الاقليمي الضيق او ، الكياني ، .

فلنترك الاستطراد ، فلنعد الى موضوعنا .

وموضوعنا محاولة تكثيف وقائع الايام الايام الاولى لثورة اكتوبر ، مع تركيز على دلالتها المستقبلية بما يفيد في رسم لوحة مقارنة بين مسارها ومسار الحركة الثورية العربية الذي لم يحفر لنفسه مجرى عميقا ومحددا ، في الارض بعد .

من اجل هذا الغرض سنستعين بصفحات من الكتاب الممتاز ، عشرة ايام هزت العالم ، ، الذي كتبه قبل خمسين سنة صحفي اميركي تقدمي بل ثوري هو ، جون رد ، ، مورداً فيه انطباعاته ومشاهداته الشخصية لوقائع تلك الايام وكان خلالها في روسيا التي احب ، والتي قضى فيها فكرمته بان جعلت مثواه الاخير عند جدار الكرملين .. غير بعيد عن لينين والقادة الاخرين ، والشهداء المجهولين الاسماء الذين قاتلوا من اجل ان تنتصر الثورة .

■ من ١٩٠٥ الى ١٩١٧
ومن اذار الى اكتوبر

يقول وليام التشيش وابلنغ في كتابه ، رسالة روسيا ، ، وهو من افضل الكتب الاجنبية التي تناولت ثورة ١٩٠٥ بالعرض والتحليل ، في وصفه لتفكير العمال الروس الذين مكنوا البلاشفة من احراز النصر الحاسم بعد ١٢ عاما من محاولتهم الاولى :

، لقد راى العمال انه من الممكن ، حتى في ظل حكومة حرة ، ان يبقوا في حالة المجاعة التي يعانون منها اذا ما سيطرت على الحكم طبقات اخرى غير طبقتهم .

، .. ان عمال روسيا لم يقتلوا ويعصروا بالالات في موسكو وريغا واوديسا ، ولم يسجنوا بالالاف في كل سجن من سجون روسيا ، ولم ينفوا الى الصحارى والى المناطق الجليدية ، لكي يحصلوا على امتيازات وهمية كالتي حصل عليها العمال الاميركيون في ، غولد فيلدز ، و ، كريبل كريك ، .

ويعلق جون رد على هذا الوصف مستنتجا ومقررا :

، .. وهكذا ، ففي خضم حرب اجنبية ، نمت الثورة الاجتماعية في روسيا على سطح الثورة السياسية ، وانتهت بانتصار البلاشفة .

ثم يستطرد رد فيقول في مقدمة كتابه ، عشرة ايام هزت العالم ، :

، .. وفي معرض معاداة تكنوطالبلشفية ، لا بد من ان نفهم ان حياة روسيا الاقتصادية ووضع الجيش الروسي لم يكونا في حالة فوضى في ٧ تشرين الاول عام ١٩١٧ فقط ، وانما تعود هذه الفوضى الى ما قبل ذلك بأشهر عديدة ، كنتيجة منطقية لعملية ترجع بجذورها الى ١٩١٥ . فقد عمل الرجعيون [illegible] الذين يسيطرون على البلاط [illegible] عن قصد ، على تدمير روسيا [illegible] صلحا منفردا مع المانيا ، [illegible] الآن ان نقص الاسلحة في [illegible] ادى الى التراجع الكبير [illegible] وندرة الغذاء في مواقع [illegible] الكبيرة ، والانهيار [illegible] الشامل عام ١٩١٧ ، انما [illegible] حملة تخريب واسعة [illegible] وضعت ثورة اذار ، ولم [illegible] ترافق ابة ثورة كبيرة ، [illegible] وستمائة الف مواطن من [illegible] العالم انسحقا ، الحرية [illegible] الوضع الداخلي بالعجز ، [illegible] للجيش [illegible] .

، الا ان ، شهر العسل ، [illegible] متحجرات الثلاثة لا اثره [illegible] لتنتزع السلطة من القيصر [illegible] ابيديها ، وتريد القضاء [illegible] روسيا على غرار ما هو [illegible] او الولايات المتحدة ، او [illegible] على غرار ما هو موجود [illegible] ومقابل ذلك كانت الجماهير [illegible] بديمقراطية زراعة وصناعة [illegible] .

■ انصاف الثوار والمعتدلين

على ان الطبقات الثلاثة [illegible] في ساحة مناهضة الثورة [illegible] لعقد تتجمع ابعدها [illegible] بل احتدت تتضم اليها [illegible] ، المعتدلين ، وانصاف [illegible] مضمنهم جموع [illegible] اصول بورجوازية [illegible]

الكلام عن الثورة ، فمتى قدمت فطلقوها شحما ( والامثلة المحلية والعربية اشهر واكثر من ان نورد في هذا السياق ) .

يقول جون رد :

، كانت الطبقات المالكة هي التي دعمت المنظمات الشعبية الثورية ، وحجمت الثورة عندما ادركت مدى قوة هذه المنظمات ، والتطبيق هذه الغاية لجأت الطبقات المالكة الى اجراءات استثنائية :

، فلكي تنسف حكومة كرنسكي والسوفييت عمدت الى تعطيل حركة النقل واثارة الاضطرابات الداخلية .

، ولكي تسحق ، المصانع والمتاجر حتى كان اصحابها العمال والموظفون يسيطرون ذاتيه ، اغلقت المصانع ، ومولت الوقود والمواد الاولية عن وجهتها الاصلية .

، ولكي تحطم لجان الجيش في الجبهة ، اعتمد فرض عقوبة الاعدام وساهمت في صنع الهزيمة العسكرية .

، وكان ذلك وقودا لغلى اضطرام النار البلشفية ، فرد البلاشفة بالدعوة الى حرب طبقية ، والتشديد على سيادة السوفييت ( المجالس الشعبية المنتخبة ) .

، وبين هذين الطرفين كان يقف الذين يطلق عليهم اسم ، الاشتراكيين المعتدلين ، اي المناشفة والاشتراكيون الثوريون وسائر الاجنحة التي تضمهم تبعيها كاملا او جزئيا ، بالاضافة الى بضعة احزاب سياسية اخرى . وقد تعرضت هذه المجموعات ، التي كانت تقريبا تعطل قدرتها على المقاومة ، الى هجمات الطبقات المالكة ايضا .

، كان المناشفة و ، الاشتراكيون الثوريون ، ، بشكل عام ، يؤمنون بان روسيا لم تنضج بعد لقيام الثورة الاجتماعية ، وبان الثورة السياسية هي

قاتل البلاشفة الاشتراكيين المعتدلين والقائلين بأنصاف الحلول بعنف أشد من عنف تفاهم ضد كرنسكي والطبقات الحاكمة

وحدها الممكنة ، ويفسرون ذلك بان الجماهير الروسية لم تصل بعد الى المستوى الكافي من الثقافة لكي تتمكن من الاستيلاء على الحكم ، لذا كان من الطبيعي ان يتفقوا مع الطبقات المالكة على ضرورة حرف روسيا ، اولا ، في خط برلماني يجري بعض التعديلات على الديمقراطية الغربية .

، ومن هذا الوقف وبين معصمهم للتكامل الطبقات المتخطئة مرتفاسيل ارتخطوها . فالاشتراكيون ، المعتدلون ، بحاجة الى البرجوازية ، ولكن البرجوازية ليست بحاجة اليهم .. وقد انعم عن مواقف هؤلاء اضطرار الوزراء ، الاشتراكيين ، الى التنازل ، شيئا فشيئا ، عن برنامجهم بكامله ، في حين ازداد نصب الطبقات المالكة في مواقعها .

، وفي النهاية ، عندما وضع البلاشفة حدا لهذه المساومة الفارغة ، اذا بالمناشفة والاشتراكيين الثوريين يقاتلون الى جانب الطبقات المالكة ... وبكل مرارة القاهرة نسيتها ، اليوم ، في كل بلد من بلدان العالم تقريبا .

عجيب ان يبدو جون رد هذه الصورة الناجحة ، التي تحمسه من خلال السطور الخيرة خاصة ينصت عما حصل ويحصل في العالم الثالث ، الآن ، برغم اختفاء المناشفة والاشتراكيين الثوريين ، الصينيين ، ؟!

■ تشرذم ما قبل الثورة ..

من الضروري ان تتوقف لحظة عند ظاهرة اخرى يشترك فيها عصرنا مع عصر ثورة اكتوبر ، تلك هي ظاهرة التشرذم التي كانت تعيشها الحركة الثورية في روسيا ، عشية السابع من تشرين الثاني عام ١٩١٧ .

فلم يكن البلاشفة حزب الاشتراكية الوحيد ، بل كان ثمة عديد من المنظمات والاحزاب يرفع راية الاشتراكية ...وكانت هذه القوى تعيش وضعا شبيها بالذي نعيشه قواتنا التقدمية العربية الآن ، وفيما يلي لمحة سريعة عن تلك الاحزاب والمنظمات :

☐ الاشتراكيون الشعبيون : حزب صغير يتكون من مثقفين رابطائيين وقادة جمعيات تعاونيوفلاحين محافظين يمثلون مصالح البورجوازية الصغيرة ، كان كرنسكي قائد هذه ، المجموعة العمالية ، عندما انطلقت ثورة اذار ١٩١٧ .

☐ حزب العمال الاشتراكي – الديمقراطي الروسي : تكون اصلا من الاشتراكيين الماركسيين ، انشق في مؤتمره عام ١٩٠٣ حول مسألة الخطة التكتيكية الى جناحين : البلاشفة ( اعضاء الاكثرية ) والمناشفة ( اعضاء الاقلية ) ، واصبح هذان الجزآن تنظيمين منفصلين يحمل كلاهما اسم ، حزب العمال الاشتراكي – الديمقراطي الروسي ، ويتبنى الاشتراكية . بعد ثورة ١٩٠٥ اصبح البلاشفة اقلية الا انهم عادوا فاصبحوا اكثرية في ايلول ١٩١٧ ، ويمكن تعداد اربعة اجنحة لهذا الحزب :

١ – المناشفة : يضم الاشتراكيين الذين يرون انه يتوجب على المجتمع ان يمر براسمالية التطور الطبيعي الى الاشتراكية ، وهو حزب المثقفين الذين يتحدرون بالكرتهم من اصول بورجوازية .

ب – المناشفة الامميون : الجناح الراديكالي من المناشفة ، اممي ويعارض اي تحالف مع الطبقات المالكة ، ولكنه يعارض دكتاتوريا البروليتاريا التي يدعو اليها البلاشفة ، كان تروتسكي [illegible] يوم ، عضوا في هذه المجموعة .

ج – البلاشفة ، او ، الحزب الشيوعي ، كما سموا انفسهم تأكيدا لانقطاعهم عن تراث الاشتراكية المعتدلة او البرلمانية ، كانوا دعاة ثورة بروليتارية سافرة ، للاستيلاء على الحكم تمهيدا لقيام الاشتراكية بواسطة الاستيلاء القسري على المصانع والاراضي والثروة الطبيعية والمؤسسات المالية .

د – الاشتراكيون – الديمقراطيون الامميون المتحدون : مجموعة صغيرة من المثقفين بغير رصيد شعبي ، اما استثناؤها الرصيد الشعبي فلانتماء مكسيم غوركي .

هـ – يدينستفا : مجموعة صغيرة من اتباع غيمانوف الشعبيين ، احد رواد الحركة الاشتراكية – الديمقراطية بروسيا ومنظرها الاكبر في اوائل القرن الحالي .

☐ الحزب الاشتراكي الثوري : حزب الفلاحين الثوري ، ثم حزب المنظمة القتالية او حزب الارهابيين ، انشق فيما بعد الى جناحين ، ثوري يساري ، و ، ثوري يميني ، ، كرنسكي هو من ابرز ممثلي الجناح الاخير ، ابان الثورة .

■ ليلة الثورة والصفقة الوحيدة

، حفنة من البلاشفة ، وقفت وحيدة في تلك الصباح القارس من تشرين الثاني ، تحت العواصف المتطورة ، مقلما لم يكن احد وحيدا من قبل .

كانت روسيا القديمة تنهار بسرعة وانحلت الحركات القومية في اوكرانيا وفنلندا وبولونيا وروسيا البيضاء تستجمع قواها وتزداد اقداما ، وحكومات

☐ ظل لينين حتى في أحرج لحظات الثورة محاورا ولم يتحول إلى دكتاتور رغم استغال مفوض الشعب للثقافة احتجاجا على قصف الكرملين الجميل !

■ مع العنف :
تخلف وديمقراطية ...

ولكن ، كيف ولد النظام الجديد ؟

■ قال لينين ..


لم يابه العرب كثيرا بكلام لينين ..

■ بين لينين والعرب

■ مع الثورة ، المؤامرة ..

■ تحقيق الاشتراكية .. على ٢؟

☐ في الفصل الاخير من كتابه ، يقول جون ريد

■ تكلس الشوارع ..

■ التجربة الفرنسية .. والاشياء المفقودة !

■ خبراء الرق والسلام